المقالة الخامسة عشرة
فی قوله سبحانه : ﴿و الله سمیع علیم﴾

و فیه قولان :

[القول] الأوّل : أنّه یسمع قول من یتکلّم بالشهادتین و قول من یتکلّم بالکفر ، و یعلم ما فی قلب المؤمن من المعارف الأیمانیّة و العلوم الربانیّة ، و ما فی قلب الکافر من العقائد الخبیثة و الظنون الباطلة .

القول الثانی : روی العطاء عن ابن عباس قال : «کان رسول اللهﷺیحب اسلام أهل الکتاب من الیهود ، الذین کانوا حول المدینة ، و کان یسئل الله تعالی ذلک سراً و علانیة ، لساناً و قلباً ، فمعنی قوله : ﴿و الله سمیع علیم﴾ ، أنّه سمیع بدعائک ـ یا محمد ـ علیم بحرصک و اجتهادک .

و یؤیّد هذا ما روی أنّهﷺلمّا رأی اهتدائهم بنوره و قبولهم لدعوته استشعر أنّه من جهته لامن جهتهم ، فزاد فی الریاضة و المجاهدة و الفناء فی المشاهدة ، فأوحی الله تعالی الیه بأنّ هذه الصفات ـ أی الطهارة من لوث البقیة المانع من التأثیر فی النفوس و سلامة الاستعداد عن النقص فی الأصل ، و الکمال الشامل لجمیع المراتب بالعلم هی الصفات الکائنة فی ذاتک ، الثابتة فی جوهر قبلک المقدّس ، المتّصف بجمیع الصفات الملکوتیّة و الأسماء اللاهوتیة ، المقتضیة للعبودیّة التامة و الدعوات و المناجاة .

و کلّها معلومة مسموعة له تعالی مشکورة عنده ، سواء کانت موجبة لاسلامهم و ذلک عند الصلاحیّة و القبول بحسب الفطرة الأصلیة و السعادة الأزلیّة ـ أو لم یکن ، و ذلک لعدم استعدادهم بحسب الفطرة رأساً أولاحتجاب قلوبهم بالریون المستفاد من اکتساب الرذائل الراسخة و الهیئات الغاسقة و الملکات المظلمة المتراکمة علی أفئدتهم ، فلاتهلک نفسک علی عدم ایمانهم لشدّة الریاضة ، فانّه من جهتهم ـ إمّا لعدم استعدادهم لقبول الرشاد ، و إمّا لوجود المانع فیهم لشدة الاحتجاب و کثافة الحجاب ، فیکفیک أنّ الله سمیع بدعائک علیم بطهارة ذاتک و صفاتک .